

مؤلفات العلامة ابن طولون «١»

# دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

للشيخ العلامة

محمد بن علي ابن طولون

الدمشقي الصالح الحنفي

ت ٩٥٣هـ

تحقيق

د. إياد العكيلي

غفر الله له وللمؤمنين والمؤمنات

# دفع الباص في ترك مساجد الناس

للشيخ العلامة

محمد بن علي ابن طولون

الدمشقي الصالح الحنفي

ت: ٩٥٣هـ

تحقيق

د. إياد العكيلي

غفر الله له وللمؤمنين والمؤمنات





- العنوان:** دفع الباس في ترك مصاحبة الناس .
- المؤلف:** محمد بن علي ابن طولون الدمشقي الصالحي .
- تحقيق:** د. إياد العكلي
- التنسيق الداخلي:** أسامة البتة - ٩٦٦٧ ٧١١٩١٤٠٦٠ 
- الطبعة:** الأولى .
- سنة النشر:** ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م .
- المقاس:** ٢٠ × ١٤
- عدد الصفحات:** ٤٣ صفحة .

كل الحقوق  
محفوظة

لكل مسلم

**بشرط عدم تغيير أي شيء من الكتاب**

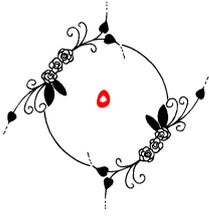




بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ







## مُقَدِّمَةُ الْمُحَقِّقِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا  
محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن  
والاه إلى يوم الدين، **وبعد:**

فهذا أحد الكتب التراثية المؤلّفة في أدب العزلة عن  
الناس، سمّاه مؤلفه العلامة **محمد بن علي ابن طولون**  
**الدمشقي الصالحي الحنفي** (ت: ٩٥٣هـ): «**دفع الباس في**  
**ترك مصاحبة الناس**».

وقد ألفت عدة كتب في هذا الأدب الرفيع من أشهرها  
وأقدمها - مما طُبِعَ -:

📖 **العزلة والانفراد**، للإمام الحافظ ابن أبي الدنيا (٢٨١ هـ).

📖 **العزلة**، للإمام الخطابي (٣٨٨ هـ).

📖 **العزلة**، للعلامة ابن الوزير (٨٤٠ هـ).

✍️ وثمة رسالة «ماجستير» بعنوان: «**العزلة بين السنة**

**والبدعة**»، لمائدة العباسي.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٦

هذا وإنَّ العزلة والاختلاط مع الناس «من الأمور النسبيّة التي تختلف خيريّتها باختلاف الأشخاص، والأزمان، والأمكنة»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ**: «فاختيار المخالطة مطلقاً خطأً، واختيار الانفراد مطلقاً خطأً، وأمّا مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا وما هو الأصح له في كل حال فهذا يحتاج إلى نظر خاص»<sup>(٢)</sup>.

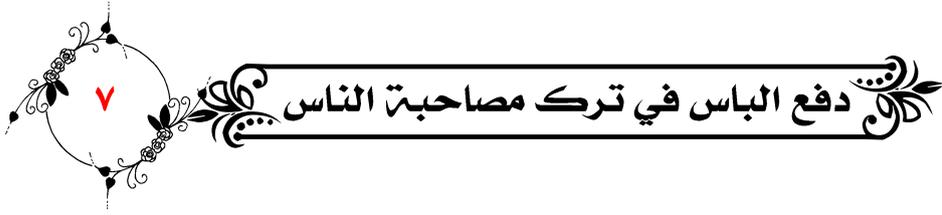
والمؤلف **رَحِمَهُ اللهُ** في هذا الكتاب أطلق القول في المسألة، ونحا منحىً عامّاً في تأييد الفكرة باعتزال الناس وترك خلطتهم؛ كما هو ظاهر في عنوان الكتاب، ومنهجيّته في نقل الشواهد من السنة وأقوال السلف والأشعار التي تُعزّز هذا المبدأ.

وقد خالف بذلك العلماء الذين ألفوا في هذا الموضوع حيث فصّلوا في الحالات التي تجوز فيها العزلة، والتي لا تجوز، وذكروا الضوابط لمثل هذه الحالات، فقتنوا المسألة

(١) ذخيرة العقبى (٢٦ / ١٣٣)، والبحر المحيط الشجاع (٣٢ / ٤٥١) للإثيوبي.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٢٦)، وقد فصّلتُ الكلام حول هذا الموضوع في تحقيقي لكتاب أبي الحسن البكري: (شرف الفقراء وبيان أنهم الأمراء، ص ١٥٢).





بما يتّضح فيها القول، وتشملها الحالات على اختلافها وتباين أحوالها، فيهتدي القارئ بذلك إلى جادة الصواب والإنصاف، بعيداً عن التعسّف والاعتساف<sup>(١)</sup>.

**ولم ألحظ في منهجية الكتاب** ما يُشاد بذكره في هذه المقدمة ممّا يسترعي الملاحظة والانتباه، فالمؤلف **رَحِمَهُ اللهُ** كان عمله قاصراً على الجمع والنقل.

**وعلى كلّ حال** «قد كثر اختلاف الناس في مفاضلة التفرد والاختلاط، فبعضهم أثر التفرد عن الناس، وبعضهم أثر الاختلاط بهم، وقد أورد كل واحد في مذهبه أخباراً وآثاراً؛ وذلك بسبب اختلاف نظرهما وابتلاء أحدهما بمصاحبة من لم تُحمد مصاحبته، ومصاحبة الآخر من تُحمد صحبته، والأصل أن اجتماع الناس بعضهم مع بعض أمر ضروري لتعلّق أمور بعضهم ببعض... فالناس لا يستغني بعضهم عن بعض ما داموا أحياء، ثم في المعاشرة والتفرد عن الأخيار الذين يُفيدونك ويعينونك ولا يؤذونك مكروه،

(١) جاء في لسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٤٥): «العسّفُ: السير بغير هداية، والأخذ على غير الطريق، وكذلك التعسّف والاعتساف».



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٨

سيما إذا لم تدرّب في الفضل، ولم تستغن عن اقتباس العلم،  
وأما عن الأندال الذين يُتدنّس بمصاحبتهم فمحمود<sup>(١)</sup>.

**وخلاصة القول** ما ذكره الإمام الخطابي **رَحِمَهُ اللهُ** في خاتمة كتابه - العزلة - بقوله: «فإنَّ الإغراق في كل شيء مذموم، وخير الأمور أوسطها، والحسنة بين السيئتين .... **والطريقة المثلى في هذا الباب:** أن لا تمتنع من حقّ يلزمك للناس وإن لم يطالبوك به، وأن لا تنهمك لهم في باطلٍ لا يجب عليك وإن دعوك إليه، فإنَّ من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، ومن انحلَّ في الباطل جمد عن الحق، فكن مع الناس في الخير، وكن بمعزل عنهم في الشر، وتوخَّ أن تكون فيهم شاهداً كغائب، وعالماً كجاهل»<sup>(٢)</sup>.

ولحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، (ص: ٢٥٩).

(٢) (ص: ٢٣٦).





## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

### وصف المخطوكت وبيان منهج تدقيقها

هذه المخطوطة كُتبت بخط مؤلفها المشهور، وجاء في طُرَّتْها ما نصُّه: «دفع الباس في ترك مصاحبة الناس، تأليف الشيخ الرحلة المحدث شمس الدين محمد بن علي ابن طولون دمشقي الصالحي **رَحْمَةُ اللَّهِ**».

وعنوانها في مقدمته بذلك، وقد أثبتنا بنفسه في ثبت مؤلفاته تحت حرف الدال<sup>(١)</sup>، كما أثبتنا له **الزركلي**<sup>(٢)</sup>، وصاحباً معجم التاريخ «**التراث الإسلامي في مكتبات العالم - المخطوطات والمطبوعات**»<sup>(٣)</sup>.

**والمخطوطة من خمس صفحات**، في كل صفحة (٢٣) سطرًا، وهي من محفوظات مكتبة تشستر بيتي بإيرلندا، برقم ٣٤٨٥ م.ك.مج ١.

**وأهم ما يتلخَّص عملي فيها:** أن قمتُ بنسخها، وتخريج أحاديثها وآثارها، والحكم عليها، كما قمتُ بعزو نقولاتها

(١) الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، ت: محمد خير رمضان يوسف، (ص: ١٠٣)، وقد نصَّ المحقِّق على أنها بخطه.

(٢) الأعلام (٦ / ٢٩١).

(٣) لعلي الرضا وأحمد طوران (٤ / ٢٩٧٣).



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

١٠

من الأقوال والأشعار، والتعليق عليها بشرح غريب، أو ذكر  
فائدة، أو تقويم لفظ، أو ضبط وزن -على وجه الاختصار- .  
**والله أسأل** أن ينفع بهذه الرسالة، وأن يتقبل مني ما قدّمتُ  
من عمل، وأن يمنحني حسن الختام عند انتهاء الأجل، إنّه  
سميعٌ مجيبٌ،،،

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين





دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

## صفحة عنوان المخطوطة

دفع الباس في ترك مصاحبة الناس  
تأليف الشيخ الرحلة المحرث شمس الدين  
محمد بن علي بن طولوت  
الدمشقي الصالح  
رحمهم الله

كتاب محل  
نظامت الله



دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

الصفحة الأولى من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
 سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم عليهما السلام وقد علمنا أن هذا العلم من العلوم التي لا تنقطع  
 ابن عدي عن جده أبي الرضا عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 من طريقه روي عن أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 بروي عن أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 ابن عدي عن جده أبي الرضا عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 كثر في زمانه روي عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 وقيل لبعض الناس إذا أصرك على الرضا قال لا جنة إلا في الجنة فلو كان كتابه لم يكن  
 ذوا النوراني لا يشركوا في العلم والدين ثم قال نعم والله لو أنفق الناس  
 بعض المال الذي يدينون به من أجل أن يروا جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 أجلس إليه قال فماذا لا تفرحون في بعض الكفاة التي هي في العلم والدين ثم قال  
 العناء هي في العلم والدين ثم قال نعم والله لو أنفق الناس  
 وقال روي عن أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 من أصل الناس ثم قال إن كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 لأن العيش جني هو في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 ملاحظ الناس فلهذا هو في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 طبعه مما لا يخفى عليه من الجاهل من العلم وقالوا في العلم ما كان في طلب العلم  
 علمه من العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 وقالوا في العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 سائر من العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 ولكنها من العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 المستوي من العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
 سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم عليهما السلام وقد علمنا أن هذا العلم من العلوم التي لا تنقطع  
 ابن عدي عن جده أبي الرضا عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 من طريقه روي عن أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 بروي عن أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 ابن عدي عن جده أبي الرضا عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 كثر في زمانه روي عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 وقيل لبعض الناس إذا أصرك على الرضا قال لا جنة إلا في الجنة فلو كان كتابه لم يكن  
 ذوا النوراني لا يشركوا في العلم والدين ثم قال نعم والله لو أنفق الناس  
 بعض المال الذي يدينون به من أجل أن يروا جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 أجلس إليه قال فماذا لا تفرحون في بعض الكفاة التي هي في العلم والدين ثم قال  
 العناء هي في العلم والدين ثم قال نعم والله لو أنفق الناس  
 وقال روي عن أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير عن جده أبي بصير  
 من أصل الناس ثم قال إن كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 لأن العيش جني هو في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 ملاحظ الناس فلهذا هو في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 طبعه مما لا يخفى عليه من الجاهل من العلم وقالوا في العلم ما كان في طلب العلم  
 علمه من العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 وقالوا في العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 سائر من العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 ولكنها من العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 المستوي من العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم  
 ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم ما كان في طلب العلم

لأن









## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

### النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الأجلُّ في ذاته، المنفردُ بصفاته، تعالى عما يقول  
الظالمون علواً كبيراً، والصلاة على سيّدنا محمد وآله  
وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا،

وبعد:

فهذا تعليق سمّيته: «دفع الباس في ترك مصاحبة الناس»،  
وهو ما روى ابن عدي من حديث أبي الدرداء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**  
مرفوعاً: «وجدتُ الناسَ أخْبَرُ تَقْلُهُ»، وسنده ضعيف،  
وأخرجه الطبراني وأبو يعلى وأبو نعيم من حديثه، وروي من  
كلام علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** موقوفاً<sup>(١)</sup>.

وروى البيهقي من كلام مطرف بن عبد الله: «أخترُ سوا من  
النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ»، قال البيهقي: «يروى نحوه عن أنس

(١) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٢/ ٢١٠)، ومسند الشاميين للطبراني (١٤٩٣)،  
وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ١٥٤)، وهو ضعيف كما قال المؤلف، وضعفه ابن عدي كما تقدّم،  
والبزار في مسنده (١٠/ ٤٠)، وانظر: الضعيفة للألباني (٢١١٠)، ولم أجده عن علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**،  
**والقلى**: البغض، قال ابن قتيبة في معناه (غريب الحديث: ٢/ ٥٩٦): «يُرِيدُ: إنك إذا أخبرتهم  
وتعرفت أمرهم قليتهم» أي: أبغضتهم.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

١٦

مرفوعاً»<sup>(١)</sup>، قال **الجلال السيوطي**: «أخرجه الطبراني في الأوسط»<sup>(٢)</sup>.

(١) سنن البيهقي (٢٠٤٤٤).

(٢) أي من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرفوعاً (٥٩٨ و ٩٤٥٨)، ومن جميل ما ذُكر في معناه ما قاله سهل التستري لما سئل عنه (تفسير التستري: ص ١٥٠): «معنى هذا: بسوء الظن بنفسك لا بالناس، أي اتهم نفسك بأنك لا تنصفهم من نفسك في معاملاتهم»، وأسند ابن أبي الدنيا عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرفوعاً (مدارة الناس: ص ٩٨) تحت باب: الحذر من الناس اتقاء شرهم والمدارة لهم، والحديث ضعفه ابن عدي (الكامل في الضعفاء: ٨ / ١٤١)، والذهبي (ميزان الاعتدال: ٤ / ١٣٩)، وابن حجر (فتح الباري: ١٠ / ٥٣١) إلا أنه قال: «وصح من قول مطرف التابعي الكبير أخرجه مُسَدَّدٌ»، **والألباني** (الضعيفة: ١٥٦) **وقال رَحِمَهُ اللَّهُ عقب تخريجه**: «ثم إن الحديث منكر عندي لمخالفته للأحاديث الكثيرة التي يأمر النبي ﷺ فيها المسلمين بأن لا يسيئوا الظن بإخوانهم، منها قوله ﷺ: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث...» رواه البخاري (١٠ / ٣٩٥ - ٣٩٨) وغيره، وهو مخرج في (غاية المرام: ٤١٧)، ثم إنه لا يمكن التعامل مع الناس على أساس سوء الظن بهم، فكيف يُعقل أن يأمر ﷺ أمته أن يتعاملوا على هذا الأساس الباطل؟!»، قال **ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ** (تفسير الحجرات إلى الحديد: ص ٤٨): يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْرَاجٌ وَبَعْضُهُ لَكِبٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، **الظن**: هو أن يكون لدى الإنسان احتمالان يترجح أحدهما على الآخر، وهنا عبر الله تعالى بقوله: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ ولم يقل: «اجتنبوا الظن كله»؛ **لأن الظن ينقسم إلى قسمين**: **القسم الأول**: ظن خير بالإنسان، وهذا مطلوب أن تظن بإخوانك خيراً ما داموا أهلاً لذلك، وهو المسلم الذي ظاهره العدالة، فإن هذا يُظن به خيراً، ويُثنى عليه بما ظهر لنا من إسلامه وأعماله.

**القسم الثاني**: ظن السوء، وهذا يحرم بالنسبة لمسلم ظاهره العدالة، فإنه لا يحل أن يُظنَّ به ظن السوء، كما صرح بذلك العلماء، فقالوا **رحمهم الله**: «يحرم ظن السوء بمسلم ظاهره العدالة، أما ظن السوء بمن قامت القرينة على أنه أهل لذلك، فهذا لا حرج على الإنسان أن يظن السوء به، ولهذا من الأمثال المضروبة السائرة: «احترسوا من الناس بسوء الظن»، ولكن هذا ليس على إطلاقه، كما هو معلوم، وإنما المراد: احترسوا من الناس الذين هم أهل لظن السوء فلا تثقوا بهم»، وانظر: (الشرح الممتع له: ٥ / ٣٠١، وشرح ذي الجلال والإكرام له أيضاً: ٣ / ٣٣١).



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

وأخرج **ابن عساكر** في تاريخ دمشق من طريق محمود بن محمد بن الفضل الرافقي، عن الفريابي، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن طاوس، عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** مرفوعاً: «من حسن ظنه بالناس كثرت ندامته»<sup>(١)</sup>.

وروي عن رسول الله **ﷺ** أنه قال: «**نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيه سمعه وبصره وقلبه ولسانه ويده**»<sup>(٢)</sup>.

**وقيل لبعض العباد**: ما أصبرك على الوحدة؟ قال: «أنا جليس الرب، إن شئت أن يناجيني قرأت كتابه، وإن شئت أن أناجيه صليت»<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧ / ١٢٦)، والفوائد لتمام (١١٨٨)، وقد سقط من المخطوط: الراوي بين الرافقي والفريابي وهو أحمد بن أبي غانم الرافقي، كما في المرجعين. والحديث ضعفه الألباني (الضعيفة: ١١٥٢)، وقال **عقب تخريجه**: «والحديث مع ضعف سنده فإنه باطل عندي؛ لأنه يتضمن الحض على إساءة الظن بالناس، وهذا خلاف المقرر في الشرع أن الأصل إحسان الظن بهم»، وجاسم الفهيد الدوسري (الروض البسام بتخريج وترتيب فوائد تمام: ١١٦٨).

(٢) مسند الشهاب للقضاعي (١٣٢٢)، وأمالي الشجري بترتيب العيشمي (٢١٨٥ و ٢١٨٦)، وضعفه **أبو إسحاق الحويني**؛ إلا أنه صحح وقفه على **أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** (الفتاوى الحديثية: ٣٠٧)، وقال السخاوي (المقاصد الحسنة: ١٢٥٨): «وله شواهد كثيرة، منها: قوله **ﷺ** لبعض أصحابه: «**كن حليماً من أحلاس بيوتك**»، وفي لفظ: «**الزم بيتك**»، وصنف **ابن البناء** جزءاً في السكوت ولزوم البيوت».

(٣) **عُرِّرُ الخصائص الواضحة** و**عُرِّرُ النقائص الفاضحة** لمحمد بن إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط بتحقيق د. محمد عبد الله قاسم (٢ / ١٠٧٠)، الباب السادس عشر: في العزلة، وما سيأتي من أقوال أو أشعار تجدها فيه، إلا ما سأعزوه لغيره، وقد برع المحقق - جزاه الله خيراً - بضبط ألفاظه وتوثيق نقولاته، فمن أراد فليرجع إليه، ولذا ما أثقلت الحواشي بذكر الفروقات وعزو النقولات إلا ما أرتأيت ذكره، والله الموفق.

## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

١٨

وقال **ذو النون المصري**: «الأنس بالله نورٌ ساطعٌ، والأنسُ بالخَلْقِ غمٌّ واقعٌ».

**وقالوا**: «ما استغنى أحدٌ بالله إلا وافتقر الناس إليه».

وقال **بعض الحكماء**: «الأنسُ بالله من حُبِّه لك، فإنَّ الله إذا أحبَّ عبداً أوحشَه من خَلْقِه».

وقال **سفيان الثوري** للحسنِ البصري: «دُلَّني على من أجلس إليه، قال: تلك ضالَّةٌ لا توجد».

وقال **بعض الحكماء**: «الوَحْشَةُ من الناس على قدر المعرفة بهم».

وقال **المأمون** لما سمع **أبا العتاهية** يُنشد:  
وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌّ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصْفُو، إِنَّ كِدْرَتُ عَلَيْهِ  
خُذْ مِنِّي الْخِلَافَةَ، وَأَعْطِنِي هَذَا الصَّاحِبَ.

وقال <sup>(١)</sup> **وهيب بن الورد**: «صَحِبْتُ النَّاسَ مِنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً، فَمَا وَجَدْتُ رَجُلًا غَفَرَ لِي زَلَّةً <sup>(٢)</sup>، وَلَا أَقَالَني عَثْرَةً، وَلَا سَتَرَ لِي عَوْرَةً».

(١) تَكَرَّرَتْ فِي الْمَخْطُوطِ «وَقَالَ».

(٢) فِي الْغُرَرِ عَقَبَهَا (٢/ ١٠٧٧): «وَلَا أَرَاهُ لِي غَلَّةً».



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

وقيل لبعضهم: «من أبعُد الناسِ سفرًا؟ قال: من كان في طلب صديقٍ صادقٍ يكون له عونًا على مهمّاته، وغوثًا في مُلمّاته».

وقال **علي بن عبيد**<sup>(١)</sup>:

ما تطعمتُ لذّة العيشِ حتى صرتُ في وِحدتي لكُتبي جليسا  
ليس شيءٌ أجل عندي من نَفِّ سِيّ فلا أبتغِ سِوَاها أنيسا  
إنّما الذُّلُّ في مداخلةِ النَّاسِ فدَعها وعِشْ كريماً رئيسا

وقال **أبو محمد الناشي**:

سَمِعنا بالصَّديقِ وما نراه على التَّحقيقِ يوجدُ في الأنامِ  
وأحسبُه مُحالاً نَمَّقوه على وجهِ المِجازِ من الكلامِ

وقال **آخر**:

لك الخيرُ ما في الناسِ من هو منصفٌ وكلُّ ودادٍ فهو منهم تكلفٌ  
وكلُّ وإنْ عاهدته فهو ناقضٌ لعهدٍ وإنْ واعدته فهو مُخلفٌ  
وأبناءُ هذا الدهرِ كالدهرِ لم يثقْ بهِ وبهمِ إلا جهولٌ مُسوفٌ

وقال الشيخ **عبد العزيز الديريني**:

تجنّبْ قرينَ السوءِ واضرِمِ حباله وإن لم تجدْ عنه مَحِيصاً فداره  
وأحبِّبْ قرينَ الصديقِ واتركِ مرآه تُلْ منه صفو الودِّ ما لم تُمارِه

(١) في الغرر (٢ / ١٠٧٩): لعلي بن عبد العزيز الجرجاني.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٢٠

ومن يطلب المعروف من غير أهله      يجذُّه وراء البحر أو في قراره  
ولله في عرض السَّمَاوَاتِ جَنَّةٌ      ولكنها محفوفةٌ بالمكاره<sup>(١)</sup>

و**لبعضهم**:

أُمٌّ عَلَى التَّفَرُّدِ كَلَّ وَقَتٍ      وَلِي فِيمَا أُمٌّ عَلَيْهِ عُدْرُ  
فَكُلُّ أَدَى فَمَصْبُورٌ عَلَيْهِ      وَلَيْسَ عَلَى قَرِينِ السُّوءِ صَبْرُ

وقال الشيخ **شهاب الدين بن رسلان**:

اغسل يديك من الزَّمانِ وأهله      واهجر بنيهِ تَفْرُ بِقَلَّةِ ضَيْرِهِ  
فلقد صحبتُ فما وجدت موافقاً      أصحبه في الله ولا في غيره<sup>(٢)</sup>

وقد **قالوا**: «استعد من شرار الناس، وكُن من  
خيارهم على حذر»<sup>(٣)</sup>.

(١) في الغرر (٢/ ١٠٨٣) البيتان الأول والثالث فقط، وهي بتمامها -على اختلاف ألفاظها- في تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص ٦٩) غير منسوبة لقائلها.

(٢) ثبت الكواكب الزاهرة لابن عوض المقدسي، ص: ١٤٤.

(٣) جاء في هامش الصفحة الأولى من المخطوطة: «قلت: ومما يُناسب ذلك قولي بدمشق في سنة تسعين وتسعمائة:

أوصيك أو صيك فاقبل ما أقرُّه      فقد نصحتك خَلِّي نُصَحَ مَخْتَبِرِ

لا تركزنَّ إلى من ليس تعرفه      ومن عرفتَ فكن منه على حذر

وكتبه ناظمه **الحسن الشامي**».

وهو الحسن بن محمد البوريني الدمشقي الشامي، انظر ترجمته مع البيتين - على اختلاف الألفاظ-: (خلاصة الأثر للمحبي: ٢ / ٥١)، والظاهر أنه قرأ هذا الكتاب وأتحفنا بهذه الفائدة اللطيفة.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

وقال **أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فصاروا شوكة لا ورق فيه»<sup>(١)</sup>.

ول**بعضهم**:

لم يبق في الناس إلا الشوكُ والمَلَقُ شوكةً إذا لمُسُوا زهراً إذا رُمقوا  
فإن دعاك إلى إيلافهم قدرٌ<sup>(٢)</sup> فكن جحيماً لعل الشوك يحترق  
ورأيتُ **بعضهم يقوله**: «فكن حليماً بدل جحيماً».

وقال **بعض الحكماء**: «احذر الناس؛ فما ركبوا  
بعيراً إلا أدبروه، ولا ظهر جوادٍ إلا عقروه، ولا قلب  
مؤمن إلا خرّبوه».

ووصف بعض البلغاء إخواناً له **فقال**: «أحظى الناس  
لديهم من أحسن إليهم، فإن قَصَّر عنهم رفضوه، وبغضوه،

(١) الجامع في الحديث لابن وهب: ٤١٦، ونصه فيه: «أذركت الناس ورقاً لا شوك فيه، فهم اليوم شوكة لا ورق فيه، إن نقدتهم وإن تركتهم لم يُبرئوك»، ولا يصح ففي سنده انقطاع، وورد نحوه مرفوعاً ولكنه لا يثبت (الضعيفة: ٥٦٣٧): «الناس كشجرة ذات جني، ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوكة؛ إن ناقدتهم ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم طلبوك. قالوا: وكيف المخرج من ذلك؟ قال: تُقرضهم عرضك ليوم فقرك».

(٢) وفي المخطوطة: «فإن دعاك يوماً أمر لصحتهم»، والمثبت من الغرر وغيره من المراجع، وهو الصواب.

## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٢٢

وتركوه، ووتروه<sup>(١)</sup>، ولم يعذروه، إن حضروا داهنوا، وإن غابوا شاحنوا، ينطوون على الإحن<sup>(٢)</sup>، ولا يرثون للممتحن، إن رأوا خيراً دفنوه، وإن ظنوا شراً أعلنوه، الواثق بهم على غرر، والتمسك بهم على خطر، إذا اختبرتهم تكشفوا، وإن اعتبرتهم تزيّفوا<sup>(٣)</sup>.

وقال الزمخشري:

تساوى أهل دهرك في المساوي	فما يُرجون للأمر النجیح
وصار الناس كلهم غشاء	فما يستحسنون سوى القبيح
وأضحى الجودُ عندهم جنوناً	فما يستعقلون سوى الشحيح
وكانوا يغضبون من الأهاجي	فصاروا يغضبون من المديح <sup>(٣)</sup>

ولقد أحسن في التحذير من قال:

إياك أن تصطفني ممن ترى أحداً	ولا تثق بامرئ في حالة أبدا
من عاش منفرداً لم يأتِه ندمٌ	على اتّخاذِ صديقٍ في الأنامِ غدا

(١) جاء في مختار الصحاح للرازي (ص ٣٣٢): (وتَرَهُ) حَقَّةٌ يَبْرُهُ بِالْكَسْرِ (وَتَرًا) بِالْكَسْرِ أَيْضًا نَقَصَهُ.  
(٢) جاء في المعجم الوسيط (١ / ٨): (الإحنة): الحقد والضغن (ج): إحن، يُقال: إن الإحن تجر المحن.  
(٣) في الغرر (٢ / ١٠٨٣):

فما يستحسنون سوى القبيح  
فما يرجون للأمر النجیح... إلخ،

تساوى أهل دهرك في المساوي  
وصار الناس كلهم غشاء

وقد نسب الأبيات للعتابي.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

❖ ومما يدل على صِغَرِ الهَمَّةِ والنفس: التلُّونُ على الصديق المصاحب بالأمس<sup>(١)</sup>:

✍ قال بعضهم: «لأنَّ أُبتلى بألف جموحٍ لحوح؛ أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى بمتلونٍ».

✍ وقال بعضهم: «المتلون إن ودَّك لشيءٍ مَلَّكَ عند انقضائه».

✍ وقال بعض الأعراب لولده: «يا بني لا تصحب من إذا أيس من خيرك مال إلى غيرك».

✍ وقال آخر: «إذا كان لك صديق فلا تمنَّ له رفعة؛ فبقدر ارتفاعه يكون انحطاطك من عنده».

✍ قال بعضهم<sup>(٢)</sup>: «ولا تلتفت إلى قول حبيب بن أوس الطائي:

إنَّ الكرامَ إذا ما أيسروا ذكروا من كان يالفهم في المنزلِ الخشنِ  
فإنَّه ليس كما قال؛ فإنَّ بالرتبة تشمخُ أنفه بعد الخسَّة والضَّعة،

(١) هذا العنوان من الغرر بنصه (٢/ ١٠٩١).

(٢) والقائل مؤلف الغرر - باختصار - (٢/ ١٠٩٢).



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٢٤

ويُفردُ صديقَه بالبؤسِ، وإن كان من قَبْلُ قسيمه في الدَّعَةِ،  
ويُقابلُ إقْلاله<sup>(١)</sup> في الزيارة بالملاة، ويَعُدُّ معرفته عثرته، لا  
يرجو لها من إقالة، وخذُ بما قال بعضهم:

إذا رأيت امرأً في حال عُسْرَتِه صافي المودَّة ما في ودِّه دغلُ  
فلا تَمَنَّ له حالاً يُسرُّ بها فإنه بانتقالِ الحالِ ينتقلُ<sup>(٢)</sup>

وكان منصور يقول<sup>(٣)</sup>: «ألم يقل بعض البلغاء الحكماء:  
لا تطلبن لأخيك رتبةً هي أرفع من رتبته التي هو مساويك  
فيها؛ فإنه ينتقل عنك في أحوال ثلاثة: يكون صديقك يوم  
حاجته إليك، ومعرفتك عند استغنائه عنك، وعدوك حال  
احتياجك إليه».

وقيل لبعض الولاة: كم لك من صديقٍ؟

فقال: أمّا في حال الولاية فكثيرٌ، ثم أنشد:

النَّاسُ إِخْوَانٌ مِنْ دَامَتْ لَهُ النِّعَمُ وَالْوَيْلُ لِلْحَرِّ إِنْ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ

ولمّا نكَبَ علي بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحداً<sup>(٤)</sup> من

(١) في الغرر: «إقباله».

(٢) في الغرر نسب الأبيات للفقير منصور بن إسماعيل بن عمر المصري.

(٣) في الغرر: «وكأن منصوراً ألمَّ بقول بعض البلغاء: لا تطلبن» إلخ، ومنصور هو قائل البيتين أعلاه.

(٤) كذا في المخطوطة والغرر، والصواب: أحدٌ.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

أصحابه وآله الملازمين له في حال تصرّفه واشتغاله، فلما رُدَّت إليه الوزارة اجتمعوا وكل منهم يأخذ السَّبْقَ لِلْقِيَاهِ، والنظرَ إلى محيَّاه، فحين رآهم كذلك أنشد قولَ أبي العتاهية:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها<sup>(١)</sup> فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا  
يعظّمون أخوا الدنيا فإن وثبت عليه يوماً بما لا يُشتهي وثبوا

وَعَادَى الزمانُ بعضَ الوزراء، فنظر بعينِ المقتِ إليه،  
وقبضَ عنه المسرَّات بيدِ القبضِ عليه، ثم عاد فألبسه من  
الإقبالِ حُللاً، أجرَّه أذيالها، وصرف لخدمتهِ النفوس بأزمنة  
الانقياد، فحمّلها أعباءَ المننِ وأثقالها، فقال يُعاتب من  
انقطع عنه في خموله، ويُسعِرُهُ بأنَّ نجمَ سعده قد طلع  
[بعد]<sup>(٢)</sup> نجم أفوله:

عاداني الدهرُ بعضَ شهرٍ وأعرض النَّاسُ عني ثمَّ بانوا  
يا أيُّها المُعرضون عني عودوا فقد عاود<sup>(٣)</sup> الزَّمان

(١) تكرر هذا الشطر في المخطوطة.

(٢) يقتضيها السياق، وهي في الغرر.

(٣) في المخطوطة: «عاد»، والتصويب من الغرر (٢/ ١٠٩٦).



❖ **ومن ذميم فعلات الأخلَاء الخُوَّان: اغتياب من غاب من الإخوان<sup>(١)</sup>:**

❖ **فإنهم قالوا:** الأخ الصادق من أهدى إلى أخيه عيِّبه، وحفظ له غيِّبه، وشر الإخوان من إذا وجد مادحاً مدح، وإن وجد قادحاً قدح، وإن استُودع سرّاً فضح.

❖ **وقال الغمري المصري:**

اصحب من الإخوان من ودّه      أصفى من الياقوت والجوهرِ  
ومن إذا سرّك أودعته      لم يُظهر السرّاً إلى المحشرِ  
ومن إذا غبت عن عينه      أقلقه الشوق ولم يصبر<sup>(٢)</sup>

❖ **واغتياب رجل رجلاً عند مسلم بن قتيبة فقال له: مه، فلقد تلمّظت بمضغة طالما عافتها الكرام.**

❖ **وقال الوزير المقرئ<sup>(٣)</sup>:**

أيّ شيء يكون أقبح مرأى      من صديقٍ يكون ذا وجهين  
من ورائي يكون مثل عدوّي      وإذا نلتقي يُقبل عيني

(١) وهذا العنوان من الغرر (٢/ ١٠٩٦)، لكن بدل الأخلاء: الإخوان.

(٢) ترياق المحبين لعبد الرحمن الواسطي الشافعي، ص ٦٢، وقد نسبها لأحمد الرفاعي.

(٣) كذا في المخطوطة، وفي الغرر (٢/ ١٠٩٩): «الوزير المغربي»، وهي كذلك انظر: الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي لإحسان عباس، ص ١٥٨.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

وأنشد **النظام الحنبلي** :

كُلُّ مَنْ أَصْبَحَ فِي دَهْ — رِكَ مِمَّنْ قَدْ تَرَاهُ  
هُوَ مِنْ خَلْفِكَ مِقْرًا ضُ وَفِي الْوَجْهِ مِرَاةٌ<sup>(١)</sup>

وأنشد قاضي القضاة **البساطي المالكي** :

لِقَاءُ أَكْثَرٍ مِنْ لَاقِيَتِ أَوْزَارُ<sup>(٢)</sup> فَلَا تَبَالِ أَصَدَّوْا عَنكَ أَوْ زَارُوا  
لَهُمْ لَدَيْكَ إِذَا جَاؤُوكَ أَوْ طَارُ<sup>(٣)</sup> فَإِنْ قَضَوْهَا تَنَحَّوْا عَنكَ أَوْ طَارُوا  
أَخْلَاقَهُمْ فَتَجَنَّبْنَهُنَّ أَوْ عَارُ<sup>(٤)</sup> وَوَصَلُهُمْ مَأْتِمٌ لِلْمَرْءِ أَوْ عَارُ<sup>(٥)</sup>

و**لعبد القاهر الجرجاني** :

أرى النَّاسَ مِنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ

وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا<sup>(٦)</sup>

(١) وفي المخطوطة:

كلما تقع عليه عينك أو تراه  
فهو خلفك مقراض وفي وجهك مرآة.

والمثبت من العزلة للخطابي منسوبة لمنصور بن إسماعيل (ص ١٦٢)، وهو الصواب.

(٢) في المخطوطة: «أوزاروا».

(٣) في المخطوطة: «أوطاروا»، **والوטר**: الحاجة، وجمعه: أوطار، انظر: مختار الصحاح، ص ٣٤١.

(٤) في المخطوطة: «أخلاقهم تجنّبهم أو عاروا»، والتصحيح من المراجع.

(٥) في المخطوطة: «توصلهم مأثم للمراء أو عاروا»، والتصحيح من المراجع.

انظر: يتيمة الدهر للثعالبي (٤ / ٣٧٠)، والمنتظم لابن الجوزي (١٤ / ٢٣٢) وهي منسوبة فيهما لأبي الفتح البستي.

(٦) هذا البيت للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني كما في المراجع، انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٨٣.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٢٨

وللحافظ أبي عبدالله الحميدي صاحب الجمع بين

الصحيحين:

لقاء الناس ليس<sup>(١)</sup> يفيد شيئاً سوى الهديان من قيل وقال  
فأقليل عن لقاء الناس إلا لأخذ العلم<sup>(٢)</sup> أو لصالح حال<sup>(٣)</sup>

ولبعضهم:

رأيت<sup>(٤)</sup> النَّاسَ قد مألوا إلى من عنده مالٌ  
ومن لا عنده مال فعنه الناس قد مالوا<sup>(٥)</sup>

ولحجة الإسلام الغزالي:

اسمع وصاتي فإن تقبلت حظيت بها  
وإن تخالف فقد أزرى بك الخلف  
ولا يغرنك جهال أتوك بما  
تجني محالاً وميناً باطلاً هرفوا<sup>(٦)</sup>

(١) في المخطوطة: «لا»، والتصويب من المرجع.

(٢) في المخطوطة: «علم»، والتصويب من المرجع.

(٣) الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)، ص ١٣٧.

(٤) في المخطوطة: «أرى»، والتصويب من المرجع.

(٥) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن لأحمد اليمني الشرواني، ص ٢١٧.

(٦) الإملاء على مشكل الإحياء، ص ١٢٦، والهرف كالهديان، ومنه قولهم: «لا تهرف بما

لا تعرف»، انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد ٤ / ٤٥، والمين: الكذب، انظر: المرجع

السابق: ٣٨٨ / ٨.



٢٩

## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

**ولبعضهم:**

لقد كان حسن الظن من بعض مذهبي  
فأدبني هذا الزمان وأهله  
وما كلُّ شخصٍ ساءني منه قوله  
مِن النَّاسِ إِلَّا ساءني منه فعله<sup>(١)</sup>

**ولبعضهم أيضاً:**

أسأتُ إذ أحسنتُ ظنِّي بكم والحزمُ سوءُ الظنِّ بالنَّاسِ  
من أحسن الظنِّ بأعدائه تجرَّعَ الموتَ بلا كاسٍ<sup>(٢)</sup>

**ولأبي ياسر الحمامي البغدادي:**

أحوجني الدَّهرُ إلى معشرٍ ما فيهمُ للخيرِ مستمتعٌ  
إن حَدَّثوا لم يفقهوا لفظَةً أو حَدَّثوا ضَجُّوا فلم يسمعوا<sup>(٣)</sup>

(١) في الغرر (١/ ١١٦):

وأكثر من تلقى يسرك قوله ولكن قليل من يسرك فعله  
وقد كان حسنُ الظنِّ بعضُ مذهبي فأدبني هذا الزمانُ وأهله.

(٢) أنس المنقطعين لعبادة رب العالمين للمعاني بن إسماعيل (٢/ ١٤٢)، وفي الغرر

(١/ ٣٢٢) البيت الأول منه.

(٣) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (١٩/ ٤٨٧).



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٣٠

وقال **الربيع بن خيثم**: «تعلّموا العلم فإذا تعلمتم فاعتزلوا»<sup>(١)</sup>.

وقال **ابن عباس رضي الله عنهما**: «لولا مخافة الوسواس لدخلت بلاداً لا أنيس بها، وأقمتُ بها حتى ألقى الله تعالى، فما يفسد الناس إلا الناس»<sup>(٢)</sup>.

ولقي رجلٌ **عروة بن الزبير رضي الله عنه** وهو مستعجل فقال له: إلى أين؟، فقال: «أريد أخاً أتبصّر به بعض شأني»، فقال: «تلك ضالة لا توجد»<sup>(٣)</sup>.

وقال بعضهم:

أَنْسْتُ بوحدي ولزمتُ بيتي فطاب العيش لي ونما السرور  
وأدبني الزمانُ فصرتُ فرداً وحيداً<sup>(٤)</sup> لا أزار ولا أزور<sup>(٥)</sup>

(١) قال العجلوني (كشف الخفاء: ١ / ٣١٠): «تَفَقَّهَ ثم اعتَزَلَ» قال النجم: ليس بحديث، وإنما نقله في الإحياء عن النخعي، ورواه أبو نعيم الأصبهاني عن الربيع بن خيثم، ورواه أحمد في الزهد عن مُطَرِّف أنه قال: «تَفَقَّهوا ثم اعتزلوا وتعبدوا».

(٢) مداراة الناس لابن أبي الدنيا ص ١٠٤، ولا يصح؛ ففي إسناده رجل لم يسم.

(٣) لم أجده عنه، وإنما عن سفيان الثوري، انظر: مسند ابن الجعد ص ٢٧٩، وعن غيره أيضاً كما في بعض المراجع.

(٤) «وحيداً» سقطت من المخطوطة، وهي مثبتة في المرجع.

(٥) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (١٢ / ٣٦٤).



## دفع العباس في ترك مصاحبة الناس

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب:

إِنْ صَحَبْنَا الْمُلُوكَ تَاهُوا عَلَيْنَا      وَاسْتَخَفُّوا كِبْرًا بِحَقِّ الْجَلِيسِ  
أَوْ صَحَبْنَا التُّجَّارَ صِرْنَا إِلَى الْبُؤْسِ      سِ وَوَعُدْنَا إِلَى عِدَادِ الْفُلُوسِ  
فَلَزِمْنَا الْبُيُوتَ نَسْتَخْرِجُ الْعِلَّ      مَ وَنَمْلًا بِهِ بَطُونِ الطُّرُوسِ<sup>(١)</sup>

وقال الصلاح الصفدي في كتابه الوافي أنه قال تقي الدين

بن دقيق العيد:

قَدْ جَرَحْتَنَا يَدُ أَيَّامِنَا      وَلَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ آسِ  
فَلَا تُرَجِّجُ الْخَلْقَ فِي حَاجَةٍ      لَيْسُوا بِأَهْلِ لِسْوَى الْيَاسِ  
وَلَا تَزِدُ شَكْوَى إِلَيْهِمْ فَلَا      مَعْنَى لَشَكْوَاكَ إِلَى قَاسِ  
وَإِنْ تَخَالَطَ مِنْهُمْ مَعْشَرًا      هَوَيْتَ فِي الدِّينِ عَلَى الرَّاسِ  
يَأْكُلُ بَعْضٌ لَحْمَ بَعْضٍ وَلَا      تَحْسَبُ فِي الْغَيْبَةِ مِنْ بَاسِ  
لَا وَرَعٌ فِي الدِّينِ يَحْمِيهِمْ      عَنْهَا وَلَا حَشْمَةٌ جُلَّاسِ  
لَا يَعْدَمُ الْآتِي إِلَى بَابِهِمْ      مِنْ ذَلَّةِ الْكَلْبِ سِوَى الْخَاسِ  
فَاهْرَبْ مِنَ النَّاسِ إِلَى رَبِّهِمْ      لَا خَيْرَ فِي الْخَلْطَةِ فِي النَّاسِ<sup>(٢)</sup>

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ١٢٢٧)، والطرُوس: جمع الطرس وهو

الصحيفة، انظر: أساس البلاغة للزمخشري (١/ ٦٠١).

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي (٤/ ١٤٥).



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٣٢

وقال فيه أيضاً في ترجمة محمد بن عمر العلاف أبي بكر

اللغوي النحوي:

إذا شئت أن تبلو مودة صاحب      بواطنه مطويةً عن ظواهره  
فقس ما بعينه إلى ما بقلبه      تجد خطراتٍ من خفيٍّ سرائره  
فكل خليلٍ ماذق في مناظره      إليك دليل مخبرٍ عن ضمائره<sup>(١)</sup>

ولأبي جعفر محمد بن القاسم الوزير:

ألم تر أن ثقات الرجال      إذا الدهر ساعده ساعدوا  
وإن خانته دهره أسلموه      ولم يبق منهم له واحد  
ولو علم الناس أن المريض      يموت لما عاده عائد<sup>(٢)</sup>

وكتب محمد بن معن المعتصم التجيبي إلى ابن عمار يعاتبه:

وأزهدني في الناس معرفتي بهم

وطول اختباري صاحباً بعد صاحب

فلم تُرني الأيام خلاً يسرني

مباده إلا ساءني في العواقب

(١) المرجع السابق (٤ / ١٧٠)، مذاق اللبن والشراب بالماء مذاقاً مزججه وخلطه فهو ممذوق

ومذيق، وماذق فلاناً في الود لم يخلص له الود، انظر: المعجم الوسيط (٢ / ٨٥٩).

(٢) المرجع السابق (٤ / ٢٤١).



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

ولا صرتُ أرجوه لدفع ملامّةٍ

من الدهرِ إلا كان إحدى النوائب

**فأجابه بقوله:**

سواك يعي قول الوشاة من العدى

وغيرك يقضي بالظنون الكواذبِ

ولو أنّ دهري ساعدتني صروفه

ركبتُ إلى مَغْنَاك هوج الركائب

وقبّلتُ من يُمْنَاك أعذبَ موردٍ

وأديتُ من رؤياك أكدَ واجبٍ<sup>(١)</sup>

وقال **محمد بن المفضل الأصبهاني:**

لا تركننّ إلى البرية كلّها      واحذرْ تغيُّرها على<sup>(٢)</sup> أحوالها

فمتى أحبك واحدٌ لملامةٍ      زالت<sup>(٣)</sup> محبته بقدر<sup>(٤)</sup> زوالها

(١) المرجع السابق (٥ / ٤٦).

(٢) في المخطوطة: «عن»، والتصويب من المرجع.

(٣) في المخطوطة: «زلت»، والتصويب من المرجع.

(٤) في المخطوطة: «بعد»، والتصويب من المرجع.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٣٤

وله أيضاً:

بينني وبين مُعاندي ما لا يزول بغير شك  
كعداوة لا تنقضي بين البهارج والمحك<sup>(١)</sup>

وللحسن بن علي بن محمد بن باري الكاتب أبي  
الجوائز الواسطي:

دَعِ النَّاسَ طُرّاً واصرف الودَّ عنهم  
إذا كنت في أخلاقهم لا تُسامح  
ولا تبغ من دهرٍ تظاهر رنقه<sup>(٢)</sup>

صفاءً بنيه فالطباع جوامح  
وشيئان معدومان في الأرض: درهمٌ  
حلالٌ وخِلٌّ في المودّة ناصح<sup>(٣)</sup>

ولبعضهم:

مَنْ<sup>(٤)</sup> مَلَّنِي فليمضِ عني راشداً  
فمتى عرضتُ له فلستُ براشداً

(١) المرجع السابق (٥ / ٥١).

(٢) جاء في العين للخليل (٥ / ١٤٤): «وفي عيشه رَنَقٌ أي كَدْرٌ».

(٣) المرجع السابق: (١ / ٣٤٩ و ١٢ / ١٢٠).

(٤) في المخطوطة: «وَمَنْ»، والتصويب من المرجع.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

ما ضاقت الدنيا عليّ بأسرها

حتى تراني راغباً في زاهد<sup>(١)</sup>

و عن **أبي الحسن الأخفش عن الخليل بن أحمد** أنه قال: **«إنما كنت ألقى من الناس أربعة: رجلاً أعلم مني فهو يوم فائدتي، أو رجلاً مثلي فهو يوم مذاكرتي، أو رجلاً متعلماً<sup>(٢)</sup> فهو يوم ثوابي وأجري، أو رجلاً دوني يرى أنه فوقني فذلك الذي لا أنظر إليه<sup>(٣)</sup>».**

وقال **معاوية لصعصعة بن صوحان**: **«صف لي الناس»**، **فقال**: **«خلق الله الناس أطواراً، فطائفة للعبادة، وطائفة للسياسة، وطائفة للفقه والسنة، وطائفة للباس والنجدة، ورجرجة بين ذلك يغلون السّعر ويكدّرون الماء»**، **قال صاحب كتاب شعلة القابس ودرة الغائص<sup>(٤)</sup>**: **«أصل**

(١) المرجع السابق: (١٣ / ١٩٤).

(٢) في المرجع: متعلماً مني.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١٦١٧)، ومن طرائف إسناده أنه مسلسل بأئمة النحو.

(٤) للشيخ أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن دارس البردسيري، انظر: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (٢ / ٩٧٥).



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٣٦

الرَّجْرَجَة: الماء الكدر الذي يبقى في أسفل الحوض والنهر<sup>(١)</sup>، وسمعتُ فيه زيادة وهي: يضيقون الطريق<sup>(٢)</sup>.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ من السلطان، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> من السفلة<sup>(٤)</sup>.

وأُتِيَ **علي رضي الله عنه** برجل في جنابة، فرأى ناساً يعدون خلفه، فقال: «لا مرحباً بوجوه لا تُرى إلا عند كل سوء»<sup>(٥)</sup>.

وقال **عمر بن عبد العزيز**: «ما لله عزَّ وجلَّ على العاقل نعمة بعد الإسلام أفضل من مباينة العامة بالفهم والعقل»<sup>(٦)</sup>.

(١) قال أبو عبيد الهروي (الغريبين في القرآن والحديث: ٣ / ٧١٦): «كلام العرب الرجرجة - بكسر الراءين - وهو: بقية الماء في الحوض، المنكدرة: المختلطة بالطين لا يمكن شربها، ولا يُتَنَفَعُ بها... قال **شمر**: رذالة الناس، يقال: رجرجة من الناس ورجرجة، وقال **الكلابي**: هم الذين لا عقول لهم».

(٢) انظر: الأمالي لأبي علي القالي (١ / ٢٥٧).

(٣) سورة الأنعام: ٦٥.

(٤) هذا مما يُؤثر عن ابن عباس **رضي الله عنهما**، انظر تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم لهذه الآية.

(٥) محاضرات الأدباء للأصهفاني (١ / ٣٧٦).

(٦) المرجع السابق (١ / ٣٧٥).



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

وقال النبي ﷺ: «نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا غلبوا، وإذا تفرقوا لم يغلّبوا» يعني الغوغاء، وروي: «لم يعرفوا»<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً أنسه بالوحدة»<sup>(٢)</sup>.

وقال معاوية للأحنف: «صف لي الناس»، فقال<sup>(٣)</sup>: «رؤوس رفعم الحظ، وأكتاف عظمهم التدبير، وأعجاز شهرهم المال، وأذنان ألحقهم الأدب؛ ثم الناس بعدهم»<sup>(٤)</sup> أشباه البهائم، إن جاعوا ساموا<sup>(٥)</sup>، وإن شبعوا ناموا»<sup>(٦)</sup>.

وقال لصعصعة بن صوحان: «صف لي الناس»، فقال: «فارسٌ يذبُّ عن البيضة، وزارع يسعى في العمارة، وعالم يشتغل بالديانة، ورجرجة بين ذلك تكدر الماء وتغلي السعر»<sup>(٧)</sup>.

(١) المرجع السابق (١ / ٣٧٥)، ولم أجده عن النبي ﷺ وإنما يُنسب لعلي رضي الله عنه بلا إسناد، انظر: أنساب الأشراف للبلاذري (٢ / ١١٥).

(٢) لم أجده عن النبي ﷺ، وإنما هو من قول بعض الحكماء، قال عبد الكريم القشيري (الرسالة القشيرية: ١ / ٢٢٦): «وقيل: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة أنسه بالوحدة، وأغناه بالقناعة، وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطي ذلك فقد أعطي خير الدنيا والآخرة».

(٣) سقطت: «فقال».

(٤) في المخطوطة: «بعده».

(٥) في مختار الصحاح للرازي (ص ١٥٨): «وسامت الماشية أي: رعت».

(٦) محاضرات الأدباء للأصفهاني (٢ / ٣١).

(٧) الحكمة الخالدة لأبي علي مسكويه ص ٢١٤.

## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٣٨

وُنقل عن **الشافعي رضي الله عنه** أنه قال: «لو كان العوام غلماناً لي ما ارتضيت بهم»<sup>(١)</sup>.

وقال **أبو العباس الروياني**: «الغوغاء من يخالط المفسدين والمجرمين، ويخاصم الناس بلا حاجة»<sup>(٢)</sup>.

وقال **تقي الدين الحصني**: «العامّة تُباع الدّجال، يميلون مع كل ريح»<sup>(٣)</sup>.

**وأنشد بعضهم فيهم:**

ولو شاء ربّي خصّهم بثلاثة<sup>(٤)</sup> قرونٍ وأذانٍ وشقّ حوافر<sup>(٥)</sup>

وللشيخ **عبد العزيز الديريني**:

إذا ما مات ذو علمٍ وتقوى<sup>(٦)</sup> فقد تُلمت من الإسلام ثلثة

(١) الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي (٢/ ١٨٢).

(٢) حياة الحيوان الكبرى للجاحظ (٢/ ٢٦٣).

(٣) دفع شبه من شبه وتمرد، ص ٦.

(٤) في المخطوطة: «ولو شا ربك لاختصهم بثلاثة»، والتصحيح من المرجع.

(٥) قال جمال الدين القاسمي (جمال الدين القاسمي وعصره لابنه ظافر، ص ٩٥): «وحضر في غيابي عبد الوهاب أفندي وسليم أفندي الجزائري، فراجعوا من عندنا مجاميع خطية، وصادفوا في إحداها بيتين نقلوهما، وهما:

بُلينا بقومٍ كالبهائم لم يعوا أراذل خلقٍ في صفات أكابر

ولو شاء ربّي خصّهم بثلاثة قرونٍ وأذنانٍ وشقّ حوافر

(٦) في المخطوطة: «إذا مات ذو علمٍ وتقوى»، والتصحيح من المرجع.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

- وموتُ العادلِ الملكِ المولَّى (١)      لحكمِ الحقِّ منقصةً وفَضْمَةً (٢)
- وموت فتى كثير الجود محلًّا (٣)      فإنَّ بقاءه خصبٌ ونعمة
- وموت الفارسِ الضرغامِ وهنُّ      فكمْ شُهدتْ له في النَّصرِ عزيمة
- وموت الصالحِ المرضيِّ نقصٌ      ففي مرآه للأسرارِ نسمة
- فَحَسْبُكَ خمسةٌ يُبكي عليهم      وموت الغير تخفيفٌ ورحمة (٤)

و**لبعضهم**: 

- كلُّ البلادِ عدوُّها سفهاؤها      وبلادنا أعداؤها فقهاؤها
- كتبوا الحديثَ فصَيروه تجارةً      فهم الولاة لها وهم أمراؤها
- كيف احتيالي في طلابِ ظلامه      والخصمُ مردودٌ إليه قضاؤها (٥)

و**لبعضهم**: 

إذا شئتَ أنْ تبكي فقيداً من الوريِّ

وتندبهُ بعدَ النبيِّ المكرمِّ

(١) في المخطوطة: «وموت ذي الملك المرجي»، والتصحيح من المرجع.

(٢) الفَضْمُ: الكسر.

(٣) في المخطوطة: «نحلا»، والتصحيح من المرجع.

(٤) بهجة المحافل للعامري الحرصي، ص ٢٦٨.

(٥) من مجالس أبي سعيد النقاش برواية أبي مطيع الصحاف، ص ١١.



## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٤٠

فحامل علمٍ ناصح متواضع  
 حريص على التعليم للمتعلّم  
 وحاكم<sup>(١)</sup> عدلٍ للشريعة قائم  
 يحيى بحكم الله لا بالتحكّم  
 وجامع أموالٍ على وجه حلّها  
 يجود بها فضلاً على كلّ مُعدم  
 وساهر ليلٍ جائعٍ متشفّع  
 لكلّ نؤومٍ شابعٍ متبشّم<sup>(٢)</sup>  
 وحامل سيفٍ للعدوّ محارب  
 يُسدُّ به في كلّ ثغرٍ مُثَلّم  
 فهم خمسةٌ يُبكون حقّاً وغيرهم  
 إلى حيث أَلقت حملها أمُّ قشعم<sup>(٣)</sup>

(١) في المخطوطة: «حاكم»، والتصحيح من المرجع. (٢) جاء في مختار الصحاح (ص ٣٥): **البشّم**: التّخمة، يُقال: **بشّم** من الطّعام، وأبشّمه الطّعام.

(٣) في المخطوطة: «إلى حيث أَلقت رجلها أم مشعم»، والتصحيح من المرجع: قلائد الجمان للمبارك الموصلي (٣/ ٢٨٠).

وقوله في آخر بيت: «إلى حيث أَلقت حملها أمُّ قشعم»، هو الشطر الثاني من معلقة زهير ابن أبي سلمى ولفظه: «لَدَى حَيْثُ أَلَقْتُ رَحْلَهَا أُمَّ قَشْعَم»، انظر ديوانه: ص ٦٩، و(أم قشعم) هي المنيّة أو الحرب، ويُستعمل هذا الشطر في الدعاء على الغائب ألا يرجع، وانظر في قصة هذا البيت الذي جرى مثلاً: خزنة الأدب للبغدادى (٧/ ١٥).

## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٤١

وقال **الأسدي** في تاريخه في ترجمة محمد بن محمد بن جعفر بن لنكك البصري النحوي الشاعر:  
لا يخذعنك اللّحي ولا الصُّور تسعة أعشارٍ من ترى بقر  
في شجر السرو منهم شَبَه له رُوءاء وما له ثمر<sup>(١)</sup>

**فائدة:** حدّث أبو جعفر الشيباني فقال: أتانا يوماً أبو مياس الشاعر ونحن جماعة فقال: ما أنتم فيه؟ قلنا: نذكر الزمان وأهله وفساده، فقال: كلا، إنّما الزمان وعاء، وما أُلقي فيه من خير وشرّ كان على حاله، ثم أنشأ يقول:  
أرى حلاًّ تصان على أناس وأخلاقاً<sup>(٢)</sup> تُذال ولا تُصان  
يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان  
ذكر ذلك **الحافظ ابن ناصر الدين** في مسودة توضيح المشتبه له<sup>(٣)</sup>.

وقيل **لأحمد بن يحيى**: «تَوَحَّشْتَ مِنَ النَّاسِ جَدًّا، فلو

(١) شعر ابن لنكك البصري، ت: د. زهير غازي زاهد، ص: ٤٥، وتمتمته:

تراهم كالسحابٍ منتشرًا وليس فيه لطالبٍ مطر.

(٢) في المخطوطة: «وأخلاق»، والتصحيح من المرجع.

(٣) (٨ / ٣١١)، وتذال أي: تُهان.

## دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

٤٢

تركت لزوم البيت فبرزت للناس ينتفعون بك، وينفعك الله بهم، فسكت ساعة ثم أنشأ يقول:

إن صحبنا الملوك تاهوا علينا واستخفوا كِبْرًا<sup>(١)</sup> بحق الجليس  
أو صحبنا التجار صرنا إلى البؤس وعدنا إلى عداد الفلوس  
فلزمتنا البيوت نستخرج العدم ونملا به بطون الطروس<sup>(٢)</sup>

وما أحسن قول **أبي العتاهية** في الناس:

فَيَا<sup>(٣)</sup> رَبِّ إِنَّ النَّاسَ لَا يَنْصِفُونِي فَكَيْفَ وَإِنْ أَنْصَفْتُهُمْ ظَلَمُونِي  
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّوْا لِأَخِيهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي شَيْئَهُمْ مَنَعُونِي  
وَإِنْ نَالَهُمْ بَدَلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ شَتْمُونِي  
وَإِنْ طَرَقْتَنِي نَكْبَةً فَكِهِوَا بِهَا وَإِنْ صَحَبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي  
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمْ وَأَحْجِبُ عَنْهُمْ نَظْرِي وَجَفُونِي<sup>(٤)</sup>

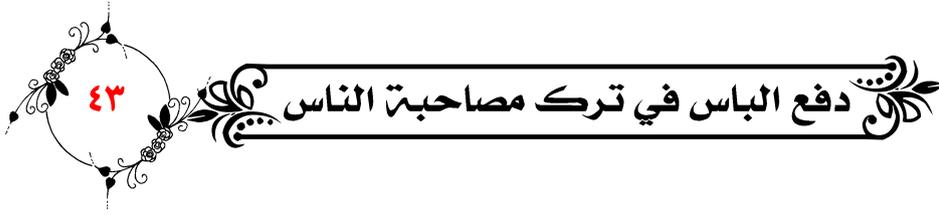
(١) في المخطوطة: «كبر»، والتصحيح من المرجع.

(٢) تقدّمت الأبيات.

(٣) في المخطوطة: «يا»، والتصحيح من ديوانه.

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ١٩٧، وانظر ديوان أبي العتاهية، ص ٤١٥

- على اختلاف بعض الألفاظ -.



# جملة الناس